للأطفال من سلسلة
حكـــايـات جـدتـى

تأليف
أحمد صبيح

رسوم وإخراج
منـال خليـل

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

كـان يامـا كـان.. فى سـالف الدهر.. يا بناتنا ويا أولادنا حكايات وحكايات جـميلة.. منهـا اللى حـقيـقى ومنهـا اللى الخيـالى سـمعتـها من جدتى العظيمة لما كنت فى سنكم يا أحبابى..

وأول حكاية سـأحكيـها لكم.. حكاية العنزة المعجـزة حكايتـها غـريبة وعـجـيبة.. لكن ظريفة وفـيـهـا عظة مـفـيدة.. وهى حكاية حـقـيـقية ليست خيالية.. وقعت أحداثها فى عهد العثمانيين أيام الوالى عبدالرحمن كتخذا أيام كان الناس يعيشون فيها بطبيعتهم لا يعرفون غير عبادة ربهم وزراعة أرضـهم.. وحمد ربهم بما أعطاهم.. لم يكن فـيـهم أحدٌ متـعلمٌ وهذه كانت مشكلة المصريين سـهل على العثمانيين أن يحتلوا أرضنا.. ومن قبلهم المـمـاليك الضـعـاف الذين اسـتـغلوا جـهلنا ونهـبـوا خـيـر أرضنا، وبطل حكايتنا هو الشيخ عبداللطيف.

نبدأ يا أحباب نحكيها ونرويها لنستمتع بها ونحاول يا أولادى نفهم معانيها ونحكيها لأصدقائنا وأخواتنا.

والحكاية يا أولاد وبنات انتبهوا إليها لأنى سأبدأ أحكيها..

زمان.. زمان قوى.. من حوالى أربعمائة وخمسين عامًا كانت الدولة العظمى فى العالم هى الدولة العثمانية وعرفت فى ذلك الوقت الإمبراطورية العثمانية والتى تضم معظم دول إفريقيا وآسيا والدول العربية والتى تسمى الآن تركيا والدولة العظمى يعنى الدولة القوية التى تملك جيشًا قويًا متعلمًا ومدربًا على أحدث المعدات العسكرية مثل دولة الولايات المتحدة الأمريكية الآن.

لكن زمان يا أولاد ويابنات لم يكن هناك منظمة دولية مثل منظمة الأمم المتحدة الآن تحمى حقوق الدول لتعيش فى سلام وأمان.

فكانت الدولة القوية تعتدى على الدول الضعيفة ومصر فى هذا الوقت كانت محتلة بفئة ضعيفة تسمى المماليك مما أغرى العثمانيين بالاعتداء على مصر وأخذ خيرها، فجاء العثمانيون وهزموا المماليك بكل سهولة واحتلوا مصر.

وبدأ العثمانيون يجندون شباب مصر من الفلاحين والعمال ليخدموا فى الجيش العثمانى لما عرف عن المصريين من أن شبابهم خير جند الله فى الأرض.

وليساعدوا العثمانيين فى اغتصاب أراضى الدول المجاورة ولتهيمن الإمبراطورية العثمانية على معظم دول العالم.

وفى يوم من الأيام هجمت أفراد من قوات الجيش العثمانى على قرية من قرى محافظة الشرقية وأخذت معظم شبابها لينضموا إلى الجيش العثمانى.

وكان من ضمن الشباب الذين تم تجنيدهم ثلاثة من الشبان عثمان وحمدان وحسان كانوا فى حالهم طيبين . عثمان يعمل فلاحًا يزرع

أرضه ويحرثها ويسقيها ويجنى الثمار فى آخر العام ويحمد الله على ما رزقه.

وحمدان يعمل بالرعى يأخذ غنمه ويخرج يوميًا إلى صحراء الشرقية وحقولها وفى آخر اليوم يعود إلى قريته قانعًا بما رزقه الله.

وحسان يعمل نجاراً يقطع بعض الأشجار ثم يصنع من خشبها الأبواب والشبابيك والكراسى والموائد والسراير والكتب وغيرها من الأدوات الخشبية.

ذهب عثمان وحمدان وحسان إلى الجيش العثمانى مرغمين مقهورين كغيرهم من أبناء مصر؛ لأنهم لا يخدمون فى الجيش المصرى وإنما فى جيش المستعمر وهم العثمانيون.

ويستمر العثمانيون فى غزو واحتلال البلاد المجاورة لمصر مستخدمين شباب مصر القوى.

ويموت الكثير من أبناء مصر فى هذه الحروب ويرفض عثمان وحمدان وحسان الانقياد للجيش العثمانى ويهربون.

وأثناء عودتهم إلى قريتهم من خلال الصحراء المتناهية يتم القبض عليهم بواسطة الجنود العثمانيين فى منطقة صحراوية تبعد عن مدينة القاهرة بقليل وأمر القائد العثمانى بوضعهم فى خيمة وربط أيديهم وأرجلهم بالحبال، وتركهم ليلقوا حتفهم.

وكان الوقت فى منتصف الظهيرة..

الصحراء قاسية لا أحد يمر فيها ويدخل عليهم الليل والظلمة حالكة والذئاب تعوى فى صحراء مخيفة.

فسلم عثمان وحسان وحمدان الأمر لله واستعدوا لاستقبال الموت فى أى لحظة ويطلع عليهم النهار والثلاثة فى حيرة من أمرهم ويدور الحديث بينهم.

●●●

حســـــان : أنا عطشان جداً.. أريد أن أشرب.. أشرب ماء.

حـــمـــدان : ماذا تريد! أتريد أن تشرب، من أين وكيف؟!.. نحن سنموت حتماً لأنه لا أحد يسير هنا فالصحراء قاتلة.

عـــثـــمـــان : يا جماعة انتظروا فإنى أحس أن ربنا سينقذنا ونحن طيبون نحب الناس ولا نضر أحداً. ولكن ادعوا ربنا يفرج عنا كربنا.

حســـــان : يارب.. يارب لا إله إلا أنت سبحانك عالم بحالنا أنقذنا يارب ببركة نبيك محمد عليه الصلاة والسلام، من أجل نعسة مراتى المسكينة التى لم تفرح بالجواز الله يخرب بيت العثمانيين هم السبب فنحن لا علاقة لنا بالحروب.

حـــمـــدان : ينظر إلى السماء.. ويدعو الله.. يارب.. يا كريم دأنا مؤمن بك وأصلى وأصوم وأخرتها أموت فى الصحراء هكذا بعيداً عن زوجتى.. وابنى يارب فإنهما ليس لهما أحد فى الدنيا غيرى يارب أنقذنا.

(ولم ينته حمدان من استغاثته بالله حتى سمع)

عـــثـــمـــان : انظروا.. انظروا يا جماعة
انتبهوا إلى الآتى نحونا..

حســـــان : سبحان الله هذه معزة بدون صاحب

حـــمـــدان : إذن ما الذى أتى بها هنا.. وأين صاحبها هذا المكان ليس فيه أحد.

عـــثـــمـــان : أظنها تائهة من أحد العربان الذين يرعون الغنم فى الصحراء.

حـــســـان : يا إلهى.. سبحانك هذه مقبلة ناحيتنا.

حـــمـــدان : ماالذى ستفعله الماعز!
نحن نريد رجلاً يفك أسرنا.

حـــســـان : اصبر يا حمدان.. اذكروا ربنا يا جماعة يمكن تعمل حاجة وتدخل المعزة الخيمة وتتجه إلى عثمان وتقف بجواره.

عـــثـــمـــان : يارب.. يارب سخرها واجعلها سببًا فى مد أجلنا وتبدأ المعزة فى شم عثمان حتى وصلت إلى الحبل المربوطة به يداه ويساعدها عثمان فى اتجاه فمها بدأت المعزة تقرض الحبل بأسنانها.
ويهلل حمدان وحسان.. الله أكبر.. الله أكبر سبحانك يارب.. قادر على كل شىء حتى انقطع الحبل المربوط به إيد عثمان ثم قطع باقى الحبل المربوط به إيد عثمان ثم قطع باقى الحبل المقيد باقى جسده ثم قام وفك زملاءه حمدان وحسان.

عـــثـــمـــان : سبحانك قادر على كل شىء.. بقى المعزة تعمل مثل هذا العمل.

حـــســـان : الحمد لله.. على فضلك يارب.
ربنا أراد الحياة على يد هذه المعزة.

حـــمـــدان : هيا يا جماعة نبحث عن أى شىء نأكله أولاً..

حـــســـان : مـاذا تـأكل.. أنـا ســأمــوت من العطش.. أنا أريد الشراب أولاً..

عـِـثـــمـــان : قبل أى حاجة نريد أن نصلى ونسجد ونشكر ربنا على إرساله لنا المعزة هذه وسجدوا لله شاكرين..

(وبعد أن فرغوا من الصلاة دار الحديث بينهم)

حـــمـــدان : لنتجه إلى المعزة هذه.. نحلبها ونشرب لبنها كأنه شراب وطعام..

عـــثـــمـــان : حرام علينا احتمال تكون المعزة هذه فى الصحراء فترة طويلة من غير أكل ولا ماء حرام يا جماعة.

حـــســـان : ليس فيـها شىء.. مش حرام نجرب.. وسأنزل أولاً تحتها وهو رزق ربنا.

(ويشرب حسان من لبنها ويتبعه حمدان ثم عثمان.. ويحمدون الله على فضله.. لقد شبع الجميع وراح عطش حسان).

عـــثـــمـــان : والآن لننظر الطريق الذى سنرجع منه لبلادنا.

حـــمـــدان : ينظر فى كل الاتجـاهات.. أرى صـحـراء من كل ناحية ولن نعرف الطريق وسنتوه.

عـــثـــمـــان : لا فائدة.. يارب.. يبدو أنه مكتوب علينا الموت لا مفر منه. سنستمر نلف وندور فى صحراء ليس لها آخر.

حســـــان : هيا يا جماعة نتوكل على الله وهو حسبنا. ونحن معنا المعزة حينما نجوع أو نعطش نشرب لبنها وربنا يدر فيها اللبن من أجلنا.

حـــمـــدان : يا ترى المعزة هذه من يملكها؟.. لعل صاحبها راعى فقير محتاج إليها.. وأنا أعلم بقيمتها.

عـــثـــمـــان : لا تفكر فى أى شىء سوى الطريق.. ربنا عالم بنا وبحالنا وهو سبحانه وتعالى الذى بعثها لنا.

(واستمر الثلاثة ومعهم المعزة سائرين فى الصحراء شمالاً وجنوبًا وشرقًا ليلا ونهارًا وبعد إعياء جسدى ونفسى كاد يفتك بهم شاهدوا العمران من بعيد حتى وصلوا إلى القاهرة.. ودخل عليهم الليل.. أين يبيتون حتى مطلع النهار إنهم لا يعرفون أحدًا فى هذا المكان لم يجدوا أمامهم سوى مسجد..)

حـــمـــدان : الحمد لله فيه مسجد هنا.. هيا ندخله لنستريح وننام للصبح.. فيه زير ميه هناك يا حسان تعالوا نشرب منه أولاً ونسقى المعزة ويتبعه الجميع ويشربون بشراهة ويسقون المعزة.

عـــثـــمـــان : إذا نحن دخلنا المسجد فماذا نفعل بالماعز! وأين نتركها.

حـــمـــدان : نحرسها خارج المسجد بالتناوب حتى الصباح.

حســـــان : أرى أن ندخلها معنا فى المسجد لأنها طاهرة.

عـــثـــمـــان : أستغفر الله العظيم يا حسان.. ماذا فعلت؟ ده ربنا سبحانه وتعالى جعلها سبب ادخلوا أنتم ناموا وسأبحث عن حاجة للمعزة تأكلها أولاً ثم أربطها بجانب الشباك هذا وسأصل إليكم داخل المسجد بعد ذلك.

(وأثناء دخول حمدان وحسان المسجد يسمع الشيخ حسن شيخ المسجد ضوضاء خارج المسجد يخرج لهم من حجرته المجاورة للمسجد).

الشيخ حسن : ما هذه الضوضاء؟.. ومن أنتم؟ وما الذى تفعلونه عندكم؟ ومن أين أتيتم يظهر على أشكالكم الإرهاق أأنتم غرباء؟

عـــثـــمـــان : فعلاً يا مولانا نحن أغراب.... لكن لسنا أتراكًا.. لسنا عثمانيين يا شيخ نريد أن نأكل ونشرب ونبيت عندك حتى الصباح يا شيخ.

الشيخ حسن : وماذا معكم يا قوم.. معزة.. ما هذا.. ما هذا من أين سرقتموها.. أنا سأبلغ عنكم الشرطة.

حـــمـــدان : لسنا لصوصًا يا شيخ.. ولم نسرق شيئًا.. هذه المعزة طاهرة ولها حكاية عجيبة ولكننا نريد أن نستريح لبعض الوقت ونأكل ونشرب ثم نحكى لك القصة بعد ذلك.

الشيخ حسن : موافق يا جماعة اتفضلوا ادخلوا.. ادخلوا اتفضلوا.. لا يوجد أحد بالبيت.. الدار أمان والجماعة فى البلد.

(يدخل عثمان وحمدان وحسان ومعهم المعزة ويأتى الشيخ حسن لهم بالطعام والماء ويطعم المعزة.. وأثناء تناولهم الطعام يتحدث معهم الشيخ حسن).

الشيخ حسن : ما حكايتكم! وما حكاية المعزة هذه؟

حسان : حكايتنا باختصار يا شيخ حسن إننا مصريون مثلك مجندون فى الجيش العثمانى وكان محكوم علينا بالإعدام وكنا محبوسين ومقيدين بالحبال داخل خيمة فى صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء

وكان ذلك بأمر قائد قوة العثمانيين حتى نموت عطشًا وجوعًا إلى أن أرسل ربنا لنا المعزة هذه وفكت أسرنا وأنقذت حياتنا.. معزة مباركة سقتنا لبنها - وأرشدتنا الطريق حتى وصلنا إليك.. هذه الحكاية باختصار شديد يا شيخ حسن.

الشيخ حسن : (يهز رأسه عدة مرات..) نعم ... نعم.. بقى المعزة هذه مباركة.. ومن أين أنتم؟

عثمان : نحن من بلاد الله المسلمين من قرية الطيبين بمحافظة الشرقية.

الشيخ حسن : أو ليس أحد منكم من القاهرة.

حسان : لو كان أحدنا من هنا لم نأت إلى هذا المكان ولم تكن قد رأيتنا ولا تعرفت علينا.

الشيخ حسن : نعم هذا. نعم وعلى كل حال فقد سعدنا بكم وشرفنا.. اذهبوا الآن للنوم لتستريحوا وفى الصباح دار الحديث بين الأصحاب والشيخ حسن.

الشيخ حسن : اصحوا يا جماعة من أجل أن تصلوا الفجر لأن وقته قد قرب وبعد الصلاة تذهبون إلى أهلكم.

عثمان : استيقظ ياحسان.. استيقظ يا حمدان استيقظا لتصليا الفجر.

حمدان : اتركنا نائمين بعض الوقت يا عثمان باالله عليك لأننا متعبون كثيرًا.. وأنت أيضًا لست متعبًا.

عثمان : نم فى بيتكم إن شاء الله.. هيا قم لتصلى الفجر

وأنت يا حسان هيا قم لتصلى.. هيا يا قوم.. الشيخ حسن سبقنا إلى المسجد..

(وبعد أن فرغوا من الصلاة وتناولوا طعام الإفطار)

حمدان : نحن شاكرين يا شيخ حسن على كرمك ولا نعرف كيف نكافئك؟

الشيخ حسن : لا شكر على واجب.. وتفضلوا هذا المبلغ لتستعينوا به على السفر إلى بلدكم.

حسان : أحسن هدية نرد بها جميلك ده يا شيخ حسن سنهديك هذه الماعز.

عثمان : فعلاً فيها شيء لله.. حلال عليك يا شيخ حسن ربنا يطعمك فيها.

الشيخ حسن : وأنا قبلت الهدية متشكرين يا جماعة.

حمدان وعثمان وحسان يحيونه قائلين: السلام عليكم يا شيخ حسن.

الشيخ حسن : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته صحبتكم السلامة وحفظكم الله من كل مكروه.

(جلس الشيخ حسن فى ليلته الأولى لوجود المعزة المباركة عنده، وقاده تفكيره الشيطانى لاستغلال المعزة المباركة فى جلب المال ثم استعاذ الله من الشيطان الرجيم.. ثم جاءه الشيطان وزين له مرة أخرى، وسهل له الحكاية فأخذ المعزة ونظفها بالماء والصابون وألبسها ثوبًا من الحرير الأخضر وأخذها معه فى حجرته المجاورة للمسجد.. وأفهم الناس أن هذه المعزة المباركة تشفى الناس من الأمراض المستعصية وتجلب لهم الرزق وتلبى طلباتهم وتجعل العاقر تلد.. وبدأ الناس يأتون إليه من جميع أنحاء القطر المصرى من مشرقها إلى مغربها ومن شمالها إلى جنوبها ليتباركوا بمعزة الشيخ حسن، وذاع صيته على مر الأيام حتى وصل الأمر إلى أمير البلاد فى ذلك الزمان الأمير عبدالرحمن كتخذا...

وأمر الأمير باحضار الشيخ حسن ومعزته إلى القصر لينظر فى أمره وأمر معزته.. وجاء الحرس السلطانى لإحضار الشيخ حسن ومعزته، ورضخ الشيخ حسن لأمر الأمير وذهب مع الحراس إلى قصر الأمير).

الشيخ حسن : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أمير البلاد.. أطلب منك الأمان.

الأمير عبدالرحمن : وعليكم السلام اقعد يا شيخ حسن.

الشيخ حسن : العفو يا مولاى.. أنا هكذا مرتاح يا مولاى.

الأمير عبدالرحمن : أُقعد لأن الأمراء سيحضرون الآن من أجل أن يتباركوا بمعزتك المباركة.. وتشفيهم من أمراضهم التى عجز الأطباء من علاجها.. ولكن لو سمحت ياشيخ حسن..

الشيخ حسن : أنا تحت أمركم يا مولاى.

الأمير عبدالرحمن : أعطِ الماعز للحارس ليدخلها على نساء القصر ليتباركن بها وتحل الكرامات عليهن وتلد منهن العاقر كما تقول يا شيخ حسن.

الشيخ حسن : أدخل معها يا مولاى لأنه من اللازم أن أكون معها.

الأمير عبدالرحمن : كيف تدخل على النساء يا شيخ حسن وأنت عارف أن هذا ممنوع.

الشيخ حسن : العفو يا مولاى.. أنا تحت أمرك يا مولاى.

(ويأخذ الحارس المعزة ويجلس الشيخ حسن وهو قلق على الماعز وما يخفيه له القدر من أشياء نتيجة فعلته ويمر الوقت ولم يحضر أحد والماعز تأخرت عند نساء القصر..)

الشيخ حسن : أين الماعز يا مولاى.. لقد تأخرت كثيراً..

الأمير عبدالرحمن : لا تقلق يا شيخ حسن ستأتى حالاً.. عندما يحضر الضيوف المدعوون ونتناول طعام الغذاء أولاً.

الشيخ حسن : الله يكرمك يا مولانا... حقيقة أنا جوعان جداً يامولاى.

الأمير عبدالرحمن : يصفق على يده.

يدخل رئيس الخدم والحشم قائلا: أمرك يا مولاى الأكل جاهز يا مولاى على المائدة.

الأمير عبدالرحمن : هيا يا شيخ حسن.. تفضل.. تفضل.

(يجد الشيخ حسن أمامه خيرات الله على المائدة)

الأمير عبدالرحمن : كُل يا شيخ حسن كُل.

الشيخ حسن : أنا مستمر فى الأكل.. إنها وليمة مولاى..

(وظل الشيخ حسن يأكل ويأكل.. ولا يعلم أنه يأكل معزته حتى فرغ من تناول الغذاء).

الأمير عبدالرحمن : مبسوط يا شيخ حسن.. ما رأيك فى الأكل.

الشيخ حسن : الحمد لله يا مولاى.. الأكل طعمه جميل جدًا يا مولاى.. أجمل لحمة أكلتها فى حياتى ولكن يا مولاى..

الأمير عبدالرحمن : لكن ماذا يا شيخ حسن.

الشيخ حسن : أين الماعز يا مولاى.. لقد تأخرت كثيرًا وسأجد المسجد مليئًا بالناس منتظرين الماعز لتحل مشاكلهم وتشفى عللهم كله بإذن الله يا مولاى.

الأمير عبدالرحمن : بإذن من يا شيخ حسن.

الشيخ حسن : بإذن الله يا مولاى.. الناس محتاجون.. وضعفاء.

الأمير عبدالرحمن : المعزة معك يا شيخ حسن؟!

الشيخ حسن : معى أين يا مولاى (وينظر حوله ووراءه وأمامه ويصفر وجهه.. ويرتعش).

الأمير عبدالرحمن : الماعز فى بطنك يا رجل يا كذاب.. يا ضلالى يا أفاك.. يا كافر بالله.. هل الماعز تشفى المرضى؟

الشيخ حسن : (يركع على ركبتيه).. أنا فى عرضك يا مولاى الرحمة يا مولاى.. الناس هم السبب والفلوس عمتنى عن رؤية الحق والشيطان استحوذ على عقلى وأنسانى أنى شيخ المسجد.

الأمير عبدالرحمن : تطلب الرحمة منى وتضحك على الناس الطيبين الغلابة وتجعلهم يكفرون بربنا من غير أن يعوا ما يفعلون وأنت كل همك الفلوس وعماك الجشع فى جمع المال عن حرمته.

الشيخ حسن : يبكى ويرتعش.. تبت يا مولاى.. اعف عنى ارحمنى يا مولاى..

الأمير عبدالرحمن : العفو والرحمة من عند ربنا الذى كفرت به من أجل المال.. وأين القرآن الذى حفظته؟ يا حراس.. هاتوا المال كله الموجود عند الشيخ فى بيته وأعطوه لأصحابه ونادوا فى البلاد لإظهار الحقيقة وأعطوا أوامرى لمشايخ المساجد فى كل البلاد يعوا الناس بذلك فى خطب يوم الجمعة.. أما الشيخ حسن الرجل الكذاب المنافق المخادع فخذوه واحبسوه وطوفوا به البلاد ليكون عبرة لأمثاله.

الشيخ حسن : أنا تبت يا مولاى توبة نصوحة وربنا يتقبل منى وسيعود كل حق لأهله..

الأمير عبدالرحمن : افتحوا المدارس والكتاتيب فى كل أنحاء البلاد فى القرى والنجوع ليتعلم الناس وليعرفوا الصواب من الخطأ فالعلم نور يهدى الناس ويحفظهم من الأشرار..

وهذه كانت نهاية الحكاية يا أحبابى لعلها تكون أعجبتم وفهمتم معانيها وليت كل واحد منكم يقول لى ماذا تعلم من هذه الحكاية؟

وإلى اللقاء فى الحكاية الثانية من حكايات جدتى.

أحمد صبيح

١٩٩١/٩/٢

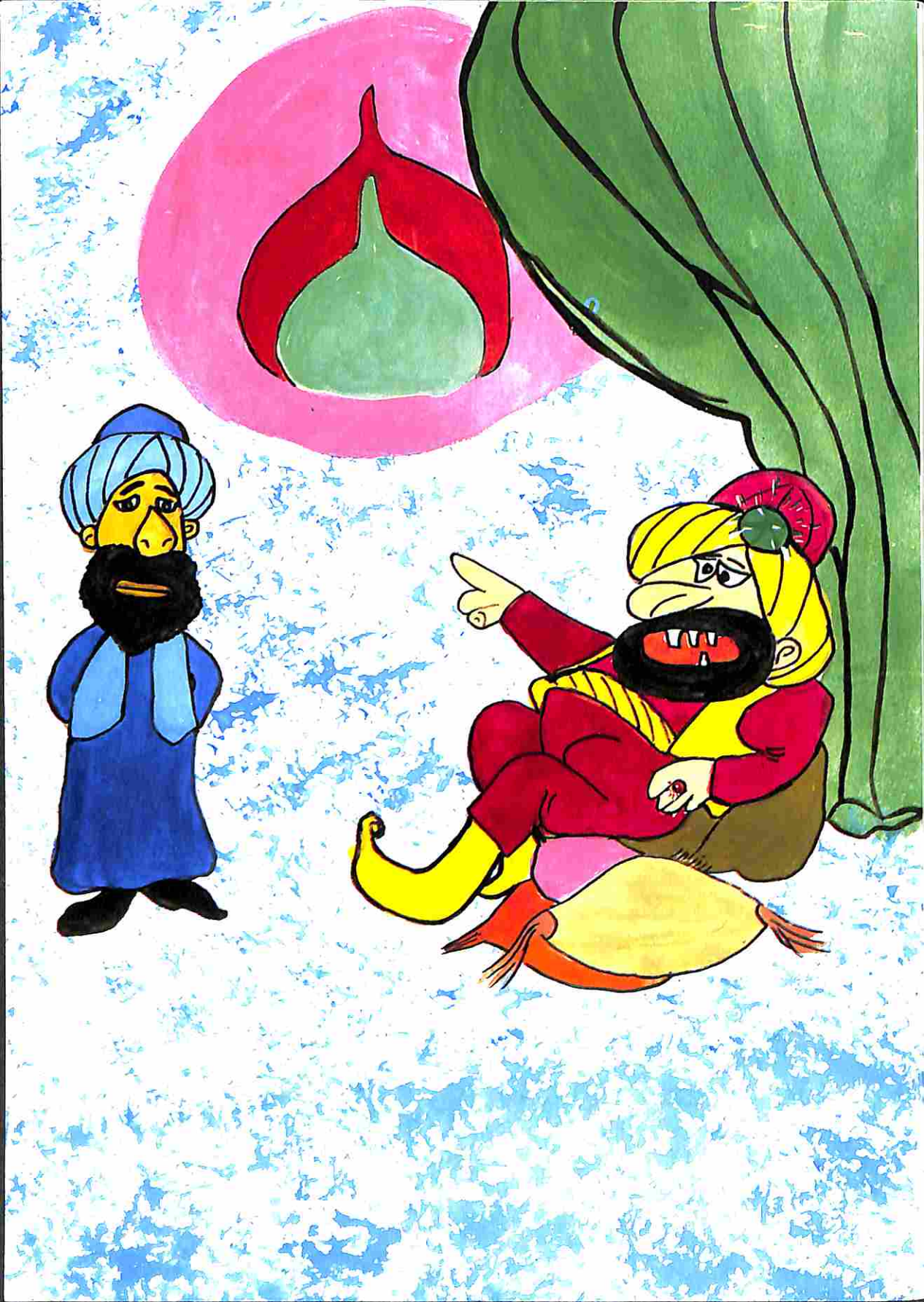

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١١٠٢٢ / ٢٠٠٢

I.S.B.N 977 - 01 -7855 - 1